الفصل السادس
موقف الشيعة الإمامية من الصحابة الكرام

يقف الشيعة الرافضة من أصحاب النبي ﷺ موقف العداوة والبغضاء والحقد والضغينة، يبرز ذلك من خلال مطاعنهم الكبيرة على الصحابة التي تزخر بها كتبهم القديمة والحديثة، فمن ذلك اعتقادهم كفرهم وردتهم إلا نفراً يسيراً منهم، وعلى ما جاء مصرحاً بذلك في بعض الروايات الواردة في أصح كتبهم وأوثقها عندهم.

فقد روى الكليني عن أبي جعفر أنه قال: كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة. فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، رحمة الله وبركاته عليهم، ثم عرف أناس بعد يسير وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا وأبوا أن يبايعوا حتى جاؤوا بأمير المؤمنين مكرهاً فبايع [1].

وقال نعمة الله الجزائري: الإمامية قالوا بالنص الجلي على إمامة علي، وكفروا الصحابة، ووقعوا فيهم، وساقوا الإمامة إلى الجعفر الصادق وبعده إلى أولاده المعصومين عليهم السلام، ومؤلف هذا الكتاب من هذه الفرقة وهي الناجية إن شاء الله [2].

وقدح الشيعة الرافضة في الصحابة لا يقف عند هذا الحد من اعتقاد تكفيرهم وردتهم، بل يعتقدون أنهم شر خلق الله، وأن الإيمان بالله ورسوله لا يكون إلا بالتبرؤ منهم، وخاصة الخلفاء الثلاثة أبا بكر وعمر وعثمان، وأمهات المؤمنين [3].

يقول محمد باقر المجلسي: وعقيدتنا في التبرؤ أننا نتبرأ من الأصنام الأربعة؛ أبي بكر وعمر، وعثمان، ومعاوية، والنساء الأربع: عائشة، حفصة، وهند، وأم الحكم، ومن جميع أشياعهم وأتباعهم وأنهم شر خلق الله على وجه الأرض، وأنه لا يتم الإيمان بالله ورسوله والأئمة إلا بعد التبرؤ من أعدائهم [4].

وقد بلغ من حقد هؤلاء على أصحاب النبي ﷺ: استباحة لعنهم، بل تقربهم إلى

---

(1) الروضة من الكافي (245/8، 246)، الانتصار للصحب والآل، ص76.
(2) الأنوار النعمانية (244/2).
(3) الانتصار للصحب والآل، ص77.
(4) حق اليقين، ص519 (فارسي) وقد قام بترجمة النص إلى العربية الشيخ محمد عبد الستار التونسوى، في كتابه بطلان عقائد الشيعة، ص53.

الله بذلك بشكل يفوق الوصف، فقد روى الملا كاظم عن أبي حمزة الثمالي - افتراءً على زين العابدين رحمه الله - أنه قال: من لعن الجبت والطاغوت لعنة واحدة كتب الله له سبعين ألف ألف حسنة ومحا عنه سبعين ألف ألف سيئة، ورفع له سبعين ألف ألف درجة، ومن أمسي يلعنهما لعنة واحدة كتب له مثل ذلك، قال: فمضي مولانا علي بن الحسين، فدخلت على مولانا أبي جعفر محمد الباقر، فقلت: يا مولاى حديث سمعته من أبيك، قال: هات يا ثمالي، فأعدت عليه الحديث. فقال: نعم يا ثمالي أتحب أن أزيدك؟ فقلت: بلي يا مولاى. فقال: من لعنهما لعنة واحدة في كل غداة لم يكتب عليه ذنب في ذلك اليوم حتى يمسي، ومن أمسي فلعنهما لعنة واحدة لم يكتب عليه ذنب في ليله حتى يصبح [1].

ومن الأدعية المشهورة عندهم الواردة في كتب الأذكار: دعاء يسمونه دعاء صنمى قريش " يعنون بهما أبا بكر وعمر " وينسبون هذا الدعاء ظلماً وزوراً لعلي رضي الله عنه وهو يتجاوز صفحة ونصف الصفحة وفيه: اللهم صل على محمد وآل محمد والعن صنمى قريش وجبتيهما وطاغوتيهما وإفكيهما، وابنيهما، اللذين خالفا أمرك، وأنكرا وحيك، وجحدا إنعامك، وعصيا رسولك، وقلبا دينك، وحرفا كتابك... إلى أن جاء في آخره: اللهم العنهما في مكنون السر، وظاهر العلانية، لعناً كثيراً أبداً، دائماً سرمداً، لا انقطاع لأمره ولا نفاد لعدده، لعناً يعود أوله ولا يروح آخره، لهم ولأعوانهم، وأنصارهم ومحبيهم ومواليهم، والمسلمين لهم، والمائلين إليهم، والناهضين باحتجاجهم، والمقتدين بكلامهم، والمصدقين بأحكامهم، (قل أربع مرات): اللهم عذبهم عذاباً يستغيث منه أهل النار، آمين يا رب العالمين [2].

- هذا الدعاء مرغب فيه عندهم، حتى - إنهم رووا في فضله نسبة إلى ابن عباس أنه قال: إن علياً - عليه السلام - كان يقنت بهذا الدعاء في صلواته، وقال: إن الداعي به كالرامي مع النبي ﷺ في بدر وأحد وحنين، بألف ألف سهم [3].

ولهذا كان هذا الدعاء محل عناية علمائهم، حتى إن أغا برزك الطهرانى ذكر أن

---

(1) أجمع الفضائح، للملا كاظم، ص513، نقلاً عن الشيعة وأهل البيت، ص157.

(2) مفتاح الجنان في الأدعية والزيارات والأذكار، ص113، 114، وتحفة عوام مقبول، ص214، 215، وهذا الكتاب الأخير موثق من كبار علمائهم المعاصرين، ورد ذكر أسمائهم على غلاف الكتاب، ومنهم الخمينى.

(3) علم اليقين في أصول الدين لمحسن الكاشانى (101/2).

شروحه بلغت العشرة [1]، فهذا ما جاء في كتبهم القديمة وعلى ألسنة علمائهم المتقدمين، أما المعاصرون منهم فهم على عقيدة سلفهم سائرون وبها متمسكون، فهذا إمامهم المقدس وآيتهم العظمى الخمينى - يقول في كتابه كشف الأسرار: إننا هنا لا شأن لنا بالشيخين، وما قاما به من مخالفات للقرآن، ومن تلاعب بأحكام الإله، وما حللاه وحرماه من عندهما، وما مارساه من ظلم ضد فاطمة ابنة النبي ﷺ وضد أولادها، ولكننا نشير إلى جهلهما بأحكام الإله والدين [2]، ويقول عن الشيخين رضي الله عنهما: وهنا نجد أنفسنا مضطرين إلى إيراد شواهد من مخالفتهما الصريحة للقرآن لنثبت بأنهما كانا يخالفان ذلك [3].

ويقول متهمهما بتحريف القرآن: لقد ذكر الله ثمانى فئات تستحق سهماً من الزكاة، لكن أبا بكر أسقط واحدة من هذه الفئات، بإيعاز من عمر ولم يقل المسلمون شيئاً [4]، ويقول: الواقع أنهم أعطوا الرسول حق قدره، الرسول الذي كد وجد وتحمل المصائب من أجل إرشادهم وهدايتهم، وأغمض عينيه وفي أذنيه كلمات ابن الخطاب القائمة على الفرية والنابعة من أعمال الكفر والزندقة [5].

وقد خرجت أصوات شيعية معاصرة تدعو للتقارب بين الشيعة وأهل السنة وتزعم أنها تقدر الصحابة، كالخنيزى وأحمد مغنية والرفاعي، ومحمد جواد مغنية، فعليهم أن يعلنوا موقفهم في تقديمهم للصحابة في الأوساط الشيعية، وأن يعملوا على تنقية التراث الشيعى من كل ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله وأن يتصدوا لمشايخ الشيعة المعاصرين الذين لا يزالون يهذون في هذا الضلال، وألا يتجاهلوا ما جاء في كتبهم قديماً وحديثاً وما يجرى فى واقعهم من عوامهم وشيوخهم، وأن يصدقوا ولا يتناقضوا، حتى يقبل منهم موقفهم [6].

إن عقيدة الشيعة الرافضة فى الصحابة موجودة فى أصول كتبهم، التى يقوم عليها المذهب من مطاعن وسباب وشتائم بذيئة، يتنزه أصحاب المروءة والدين عن إطلاقها

---

(1) الذريعة إلى تصانيف الشيعة (192/8).
(2) كشف الأسرار، ص126.
(3) المرجع نفسه، ص131.
(4) المرجع نفسه، ص135.
(5) المرجع نفسه، ص137.
(6) أصول الشيعة الإمامية (1319/3 إلى 1342).

على أكفر الناس، بينما تنشرح بها صدور الشيعة الرافضة، وتسارع بها ألسنتهم فى حق أصحاب رسول الله ﷺ وخلفائه ووزرائه وأصهاره، ويعدون ذلك دينا يرجون عليه من الله أعظم الأجر والمثوبة. وفى الحقيقة أن المسلم إذا ما تأمل حال هؤلاء الناس من بعد وضلال، فإنه لابد لـه من موقفين:

(أ) موقف استشعار نعمة الله، وعظم لطفه، وسابغ كرمه أن أنقذه من هذا الضلال، الأمر الذى يستوجب شكرا لله على ذلك.

(ب) موقف الاتعاظ والاعتبار بما بلغ هؤلاء القوم من زيغ وانحراف، يعلمه من لـه أدنى ذرة عقل، كتقربهم إلى الله بلعن أبى بكر وعمر صباحاً ومساء، وزعمهم أن من لعنهما لعنة واحدة لم تكتب عليه خطيئة يومه، وذلك أن عامة العقلاء من هذه الأمة، بل ومن أصحاب الملل السماوية يدركون إدراكا ضروريا من دين الله، أن الله ما تعبد أمة من الأمم بلعن أحد من الكفار، ولو كان أكفر الناس، بل ما تعبدهم بلعن إبليس اللعين المطرود من رحمة الله صباحا ومساء، فى أوراد مخصوصة تقربنا إلى الله كما تتقرب الشيعة الرافضة بلعن أبى بكر وعمر. بل إنى لا أعلم [1]، فيما اطلعت عليه من كتب الرافضة أنفسهم، أنها تضمنت دعاء مخصوصاً أو غير مخصوص في لعن أبي جهل، أو أمية بن خلف، أو الوليد بن المغيرة الذين هم أشد الناس كفراً بالله وتكذيباً لرسوله ﷺ، بل ولا في لعن إبليس في حين أن كتبهم تمتلئ بالروايات في لعن أبي بكر وعمر، كما في دعاء صنمى قريش وغيره، ففي هذا عبرة لكل معتبر فيما يبلغ بالعبد من الضلال إن هو أعرض عن شرع الله، واتبع الأهواء والبدع كيف يزين لـه سوء عمله وقبيح أفعاله حتى يصبح لا يعرف معروفاً من منكر، ولا يميز حقاً من باطل، بل يتخبط في الظلمات، ويعيش سكرة الشهوات.

وهذا ما أخبر الله عنه في كتابه وبين حال أصحابه [2]في قولـه:{أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِى مَن يَشَآءُ} [فاطر: 8] وقال:{ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِى ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤} [الكهف: 104]، وقال تعالى:{قُلۡ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا ٧٥} [مريم: 75].

---

(1) هو الدكتور إبراهيم الرحيلي صاحب كتاب الانتصار للصحب والآل، ص85.
(2) الانتصار للصحب والآل، ص85.

نماذج للمزاجية في تفسير الآيات عند الشيعة الرافضة المتعلقة بردة الصحابة - على حد زعمهم - والرد على باطلهم:

(أ) آية آل عمران:

استدل الشيعة الرافضة بقول الله تعالى في كتابه العزيز:{وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾} [آل عمران: 143، 144].

إن هذه الآية يزعمون أنها صريحة في الدلالة على انقلاب الصحابة بعد رسول الله، وعد الصحابة المنقلبين على أعقابهم هم الكثرة الغالبة من الصحابة فيما ثبت من الصحابة قلة قليلة، وهى الفئة التى ترى الشيعة الرافضة ثبوتها على الإسلام، وهؤلاء الثابتون هم الشاكرون ولا يكونون إلا قلة كما قال تعالى:{وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾} [سبأ: 13]، والمهم عندهم أن آية الانقلاب تقصد الصحابة مباشرة، الذين يعيشون مع رسول الله ﷺ في المدينة، وترمى إلى الانقلاب مباشرة بعد وفاته دون فصل [1]، وقد حولوها وطبقوها على ما حدث في سقيفة بنى ساعدة عندما انتخب الصحابة الكرام أبا بكر الصديق رضي الله عنه، والرد على هذا الكذب العظيم كالآتي:

روى الطبري في تفسيره بسنده عن الضحاك قال في قوله تعالى:{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ} [آل عمران: 144]، ناس من أهل الارتياب ومرضى النفاق، قالوا يوم فر الناس عن نبي الله ﷺ، وشج فوق حاجبه، وكسرت رباعيته: قتل محمد فالحقوا بدينكم الأول، فذلك قوله:{أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ} [آل عمران: 144] [2].

وروى أيضا عن ابن جريج قال: قال أهل المرضى والارتياب والنفاق، حين فر الناس عن النبى ﷺ: قد قتل محمد، فالحقوا بدينكم الأول، فنزلت هذه الآية [3]، فالمقصود بالانقلاب على الأعقاب في الآية هو: ما قاله المنافقون لما أشيع في الناس أن رسول الله ﷺ قتل، وهو قولهم: ارجعوا إلى دينكم الأول.

---

(1) ثم اهتديت للتيجانى، ص114، 115.
(2) تفسير الطبري (458/3).
(3) المصدر نفسه (458/3).

ولم تكن هذه الآية فيمن ارتد بعد موت النبي ﷺ وإن كانت هي حجة عليهم، مع أنها لو كانت فيمن ارتد بعد موت النبي ﷺ لكانت أظهر في الدلالة على براءة أصحاب النبي ﷺ من المرتدين، فإنهم هم الذين قاتلوهم، وأظهر الله دينه على أيديهم، وخذل المرتدين بحربهم لهم، فرجع منهم من رجع إلى الدين، وهلك من هلك على ردته، وظهر فضل الصديق والصحابة بمقاتلتهم لهم [1]، ولهذا ثبت عن علي رضي الله عنه أنه كان يقول في قوله تعالى:{وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤} [آل عمران: 144]، الثابتين على دينهم أبا بكر وأصحابه [2]، وكان يقول: كان أبو بكر أمين الشاكرين وأمين أحباء الله، وكان أشكرهم وأحبهم إلى الله [3].

لقد كان لموقعة أحد ظروفها الخاصة وملابساتها، ولذلك جاءت الآيات الكريمة في سورة آل عمران وفقاً لتلك الظروف والملابسات، واستخدام الآية الكريمة للاستدلال على وقائع أخرى كحادثة السقيفة أو موقعة الجمل لا يخلو من غرابة ومن مزاجية، لا تمت بصلة للمنهجية العلمية، وتعد هذه الآية من أكبر الدلائل على عظم إيمان أبي بكر وحكمته وتفانيه في الدفاع عن دين الله، فموقفه الثابت يوم أن توفي رسول الله ﷺ خير شاهد على ذلك.. يوم أن وقف وقفته الثابتة مخاطباً الناس بعدما أصابه الوهن والضعف على فقد رسول الله ﷺ فقال: إن الله عز وجل يقول:{إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠} [الزمر: 30] ويقول:{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞۚ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤} [آل عمران: 144]، فمن كان يعبد الله عز وجل فإن الله عز وجل حى لا يموت، ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات [4]. وموقفه الصارم من الذين ارتدوا على أعقابهم واستبدلوا الإيمان بالكفر، فاتبعوا مسيلمة، وسجاح وطليحة بن خويلد والأسود العنسي وأمثالهم، ومن الذين قالوا: نصلي ولا نزكي، فأسقطوا شعائر الإسلام بالهوى لأروع مثال على عظمة أبي بكر والصحابة وعلى حرصهم على الدين [5].

وقد وقف أمير المؤمنين علي بجانب الخليفة الراشد الصديق في جهاده ضد

---

(1) الانتصار للصحب والآل، ص322.
(2) تفسير الطبري (455/3).
(3) تفسير الطبري (455/3).
(4) البخاري، فضائل الصحابة رقم (3668).
(5) ثم أبصرت الحقيقة، ص302.

المرتدين ومانعى الزكاة، أما التيجانى وشرف الدين الموسوى وفلان وفلان من أئمة علماء الشيعة الاثنى عشرية فلا زالوا يدندنون حول قضية مانعي الزكاة محاولين تبرئة ساحتهم، ورمى أبي بكر والصحابة بالمقابل بالأباطيل والردة، فأى ضلال ينطق به هؤلاء حين يطعنون في أصحاب رسول الله، ويجعلون من الذين جاهدوا [1] في سبيل الله رفعة لهذا الدين رموزاً للكفر والردة والنفاق. ولذلك لا نعجب إن علمنا مدى إكبار الإمام أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لأبي بكر الصديق وإجلاله لـه، يذكر الأربلي - في كتاب كشف الغمة في معرفة الأئمة - عن عروة بن عبد الله أنه قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حيلة السيوف، فقال: لا بأس بها، قد حلى أبو بكر الصديق رضي الله عنه سيفه، قلت: فتقول الصديق؟ قال: فوثب وثبة واستقبل القبلة وقال: نعم الصديق، نعم الصديق، فمن لم يقل لـه الصديق فلا صدق الله لـه قولاً في الدنيا ولا في الآخرة [2]. فرحم الله الإمام أبا جعفر، ورحم الله كلماته التى طوتها صحف الأمس ولم تنطق بها ضمائر اليوم [3].

(ب) آية سورة المائدة:

وقد استدل بعض المتنطعين على ردة الصحابة وانقلابهم على أعقابهم بقول الله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤} [المائدة: 54].

إن هذه الآية التى بين أيدينا والتى يستدل بها علماء الشيعة الاثنى عشرية، على ردة الصحابة وانقلابهم على أعقابهم [4]، لهي أعظم دليل على عظمة هؤلاء الصحابة وتفانيهم في الدفاع عن الإسلام، لا على ردتهم وانقلابهم على أعقابهم، فقد روى الطبري بسنده عن علي رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى:{فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ} بأبي بكر وأصحابه، وعن الحسن البصري قال: هذا والله أبو بكر وأصحابه، وعن الضحاك قال: هو أبو بكر وأصحابه، لما ارتد من ارتد من العرب عن الإسلام

(1) ثم أبصرت الحقيقة، ص302، 303.
(2) كشف الغمة (147/2).
(3) ثم أبصرت الحقيقة، ص304.
(4) المصدر نفسه، ص311.

جاهدهم أبو بكر وأصحابه، حتى ردهم إلى الإسلام. وبهذا قال قتادة وابن جريج وغيره من أئمة التفسير [1].

إن الآية الكريمة تحدثت عن صفات جيل التمكين، وبأن أهل الإيمان سيحالفهم النصر والتمكين فينالون العزة والكرامة بينما سيحيق بأهل الردة مكرهم السيئ وتغشاهم الذلة، وهذه حقيقة يلمسها كل من قرأ التاريخ الصحيح وتجلت له عزة الصحابة وعلى رأسهم الخليفة الراشد أبو بكر، وذل زعماء الردة، كمسيلمة والعنسي وسجاح وخيبتهم [2].

إن هذه الصفات المذكورة في هذه الآية الكريمة أول من تنطبق عليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وجيوشه من الصحابة الذين قاتلوا المرتدين، فقد مدحهم الله بأكمل الصفات وأعلى المبرات، فالله سبحانه وتعالى ذكر أنه يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم، وقد شرحت هذه الصفات في كتابي الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق [3]فمن أراد المزيد فليرجع إليه.

(جـ) آية سورة التوبة:

قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾} [التوبة: 38، 39].

فقد قال بعض علماء الشيعة الرافضة: هذه الآية صريحة في أن الصحابة تثاقلوا عن الجهاد، واختاروا الركون إلى الحياة الدنيا، رغم علمهم بأنها متاع قليل، حتى استوجبوا توبيخ الله سبحانه، وتهديده إياهم بالعذاب الأليم، واستبدال غيرهم من المؤمنين الصادقين. وقد جاء هذا التهديد باستبدال غيرهم في العديد من الآيات، مما يدل دلالة واضحة على أنهم تثاقلوا عن الجهاد في مرات عديدة، فقد جاء في قول الله تعالى:{وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾} [محمد: 38]، عند

(1) تفسير الطبري (623/4، 624).
(2) ثم أبصرت الحقيقة، ص312.
(3) الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق، ص288 إلى 291، للمؤلف.

صاحب كتاب " ثم اهتديت ": ومن البديهي المعلوم أن الصحابة تفرقوا بعد النبي ﷺ واختلفوا، وأوقدوا نار الفتنة، حتى وصل بهم الأمر إلى القتال والحرب الدامية، التي سببت انتكاس المسلمين وتخلفهم وأطمعت فيهم أعداءهم [1].

والرد على هذا الشيعي الرافضي كالآتي:

أنه ليس في هاتين الآيتين مطعن على أصحاب النبي ﷺ، وإنما فيهما حث الله تعالى الصحابة على الجهاد، وذلك عندما أمر النبي ﷺ أصحابه في غزوة تبوك بغزو الروم، وكان ذلك في زمن العسرة وفاقة من أصحاب النبي ﷺ مع شدة الحر وبعد السفر، فشق ذلك على بعضهم، فنزلت الآيات في الترغيب في الجهاد في سبيل الله والتحذير من التثاقل عنه، فاستجاب أصحاب النبي لأمر ربهم.

قال الطبري في تفسير قوله تعالى:**{**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ**}** [التوبة: 38].

وهذه الآية حث من الله جل ثناؤه للمؤمنين به من أصحاب رسوله على غزو الروم، وذلك في غزوة رسول الله ﷺ تبوك [2]. ولا شك أن هاتين الآيتين تضمنتا نوع عتاب من الله عز وجل لبعض من ثقل عليهم الخروج في الجهاد، وهذا قطعاً لا يرد على عامة أصحاب النبي ﷺ الذين استجابوا لله ورسوله بالمسارعة في الخروج في سبيل الله، وهم غالب الصحابة وأكثرهم [3]. وقال ابن كثير: هذا شروع في عتاب من تخلف عن رسول الله في غزوة تبوك [4].

ومعلوم أنه لم يتخلف عن النبي ﷺ في غزوة تبوك أحد من أصحابه من غير أهل الأعذار، إلا ثلاثة نفر كما دل على ذلك حديث كعب بن مالك المشهور في الصحيحين[5]، وهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، ومع هذا فقد ثبت بنص كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أن الله تاب على الجميع، وأنزل في توبته على سائر الصحابة وحياً يتلى في كتابه في قوله:**{**لَّقَد تَّابَ

---

(1) ثم اهتديت، ص115.
(2) تفسير الطبري (372/6).
(3) الانتصار للصحب والآل، ص327.
(4) تفسير ابن كثير (372/2).
(5) البخاري رقم (4118) ومسلم (2769).

ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾} [التوبة: 117، 118].

وتضمنت هذه الآيات إخبار الله تعالى عن توبته على المهاجرين والأنصار الذين اتبعوا الرسول ﷺ في غزوة تبوك، والتى تسمى غزوة العسرة فلم يتخلفوا عنه مع ما أصابهم فيها من الجهد والشدة والفقر، حتى جاء في بعض الروايات أن النفر منهم كانوا يتناولون التمرة بينهم يمصها هذا ثم يشرب عليها، ثم يمصها هذا ثم يشرب عليها حتى تأتي على آخرهم [1]، كما تضمنت توبة الله على الثلاثة المخلفين، الذين تأخروا عن رسول الله ﷺ في تلك الغزوة بعد هجر النبي ﷺ لهم، وندمهم ندماً عظيماً حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت [2]، فلم يبق بعد ذلك عذر لأحد في النيل من أصحاب النبي ﷺ أو غمزهم بشيء مما قد يقع منهم، بعد مغفرة الله لهم وتوبته عليهم، وثنائه عليهم الثناء العظيم في كتابه، وتزكية الرسول ﷺ لهم في سنته ﷺ [3].

وأما اقتتال الصحابة رضي الله عنهم فقد نشأ في عهد علي رضي الله عنه، وقد بينا الحديث عن أسباب الاختلاف بين الصحابة في الفتنة، وبيان وجهة كل فريق، وبراءتهم من كل ما يلصق بهم من ذلك، وأن عامة ما صدر منهم إنما كانوا مجتهدين فيه، ليس لأحد أن يذمهم بشيء منه [4]، وإنما الإمساك عما شجر بينهم والترحم عليهم هو السبيل الأمثل، والمنهج الأقوم في حقهم، فرضي الله عنهم أجمعين [5].

(د) حديث المذادة عن الحوض:

قال رسول الله ﷺ: **«بينما أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، فقلت: إلى أين؟ فقال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: ارتدوا بعدك**

---

(1) تفسير الطبري (502/6)، تفسير البغوى (333/2).
(2) الانتصار للصحب والآل، ص329.
(3) المصدر نفسه، ص328.
(4) راجع الفصل السادس من كتابنا؛ أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.
(5) الانتصار للصحب والآل، ص330.

على أدبارهم القهقري، فلا رأى يخلص منهم إلا هَمل النعم» [1].

فقال ﷺ: **«إني فرطكم على الحوض، من مر على شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردن على أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم، فأقول: أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقا سحقاً لمن غير بعدى»** [2].

يقول بعض الشيعة: فالمتمعن في هذه الأحاديث العديدة التي أخرجها علماء أهل السنة في صحاحهم ومسانيدهم، لا يتطرق إليه الشك في أن أكثر الصحابة قد بدلوا وغيروا، بل ارتدوا على أدبارهم بعده ﷺ إلا القليل الذين عبر عنه بهمل النعم، ولا يمكن بأي حال من الأحوال حمل هذه الأحاديث على القسم الثالث، وهم المنافقون لأن النص يقول: **«فأقول: أصحابي»**، ولأن المنافقين لم يبدلوا بعد النبي ﷺ، وإلا لأصبح المنافق بعد وفاة النبي ﷺ مؤمناً [3].

والرد على هذه الشبهة كالتالي: إن أصحاب النبي ﷺ مما لا يقبل النزاع في عدالتهم أو التشكيك في إيمانهم بعد تعديل العليم الخبير لهم في كتابه، وتزكية رسوله لهم في سنته، وثناء الله ورسوله عليهم أجمل الثناء، ووصفهم بأحسن الصفات، مما هو معلوم ومتواتر من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ - ويأتي بيان ذلك بإذن الله.

ولهذا اتفق شراح الحديث من أهل السنة، على أن الصحابة غير معنيين بهذه الأحاديث، وأنها لا توجب قدحاً فيهم، قال ابن قتيبة - في معرض رده على الشيعة الرافضة - في استدلالهم بالحديث على ردة الصحابة: فكيف يجوز أن يرضي الله عز وجل عن أقوام ويحمدهم، ويضرب لهم مثلاً في التوراة والإنجيل، وهو يعلم أنهم يرتدون على أعقابهم بعد رسول الله ﷺ إلا أن يقولوا: إنه لم يعلم وهذا هو شر الكفرين [4]، وقال الخطابي: لم يرتد من الصحابة أحد، وإنما ارتد من جفاة العرب، ممن لا نصرة له في الدين، وذلك لا يوجب قدحاً في الصحابة المشهورين، ويدل القول: "أصيحابي" على قلة عددهم [5].

---

(1) البخاري، كتاب الرقاق رقم (6584، 6587).
(2) مسلم، كتاب الفضائل (1793/4).
(3) ثم اهتديت، ص119.
(4) تأويل مختلف الحديث ص279.
(5) فتح الباري (285/11).

وقال النووى في شرح بعض روايات الحديث عند قوله ﷺ: **«هل تدري ما أحدثوا بعدك»**، هذا مما اختلف العلماء في المراد به على أقوال:

(أ) إن المراد به المنافقون والمرتدون، فيجوز أن يحشروا بالغرة والتحجيل، فيناديهم النبي ﷺ للسيما التى عليهم، فيقال: ليس هؤلاء مما وعدت بهم، إن هؤلاء بدلوا بعدك: أي لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم.

(ب) إن المراد من كان في زمن النبي ﷺ ثم ارتد بعده فيناديهم النبي ﷺ لما كان يعرفه ﷺ في حياته من إسلامهم، فيقال: ارتدوا بعدك.

(جـ) إن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام، وعلى هذا لا يقطع بهؤلاء الذين يذادون بالنار، يجوز أن يذادوا عقوبة لهم، ثم يرحمهم الله سبحانه وتعالى فيدخلهم الجنة بغير عذاب [1]، ونقل هذه الأقوال، أو قريباً منها، القرطبي وابن حجر رحمهما الله تعالى [2].

ولا يمتنع أن يكون أولئك المذادون عن الحوض من مجموع تلك الأصناف المذكورة، فإن الروايات محتملة لكل هذا، ففي بعضها يقول النبي ﷺ: **«فأقول أصحابي أو أصيحابي»** - بالتصغير - وفي بعضها يقول: **«سيؤخذ أناس من دونى، فأقول: يا ربي منى ومن أمتى»**، وفي بعضها يقول: **«ليردن على أقوام أعرفهم ويعرفوننى»** [3]، وظاهر ذلك أن المذادين ليسوا طائفة واحدة، وهذا هو الذي تقتضيه الحكمة، فإن العقوبات في الشرع تكون بحسب الذنوب، فيجتمع في العقوبة الواحدة كل من استوجبها من أصحاب ذلك الذنب [4]، وإذا كان النبي ﷺ قد بين أن سبب الذود عن الحوض هو الارتداد كما في قوله: **«إنهم ارتدوا على أدبارهم»**، أو الإحداث في الدين، كما في قوله: **«إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»** [5]، فمقتضي ذلك هو أن يذاد عن الحوض كل مرتد عن الدين سواء أكان ممن ارتد بعد موت النبي ﷺ من الأعراب، أم من كان بعد ذلك، يشاركهم في هذا أهل الإحداث وهم المبتدعة، وهذا ما ذهب إليه بعض أهل العلم.

---

(1) شرح صحيح مسلم (136/3، 137).
(2) المفهم للقرطبي (504/1)، فتح الباري (385/11).
(3) الروايات في البخاري، كتاب الرقاق، فتح الباري (463/11، 465).
(4) الانتصار للصحب والآل، ص354.
(5) مسلم، كتاب الفضائل وإثبات الحوض (1792/4 - 1082).

قال ابن عبد البر – رحمه الله:

كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض، كالخوارج والروافض، وسائر أصحاب الأهواء، قال: وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق، والمعلنون بالكبائر، قال: وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر، والله أعلم [1].

وقال القرطبي رحمه الله في التذكرة:

قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين: فكل من ارتد عن دين الله، أو أحدث فيه ما لا يرضاه، ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم، كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تبيان ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدلون [2].

وإذا ما تقرر هذا ظهرت براءة الصحابة من كل ما يرميهم به الشيعة الرافضة، فالذود عن الحوض، إنما هو بسبب الردة أو الإحداث في الدين، والصحابة من أبعد الناس عن ذلك، بل هم أعداء المرتدين الذين قاتلوهم وحاربوهم فى أصعب الظروف وأحرجها بعد موت النبى ﷺ، على ما روى الطبرى فى تاريخه بسنده عن عروة بن الزبير عن أبيه قال: قد ارتدت العرب إما عامة وإما خاصة فى كل قبيلة، ونجم النفاق، واشرأبت اليهود والنصارى، والمسلمون كالغنم فى الليلة المطيرة الشاتية لفقد نبيهم ﷺ وقلتهم وكثرة عدوهم[3].

ومع هذا تصدى أصحاب النبى ﷺ لهؤلاء المرتدين وقاتلوهم قتالاً عظيماً وناجزوهم حتى أظهرهم الله عليهم، فعاد للدين من أهل الردة من عاد، وقتل منهم من قتل، وعاد للإسلام عزه وقوته وهيبته على أيدى الصحابة رضى الله عنهم.

وكذلك أهل البدع كان الصحابة - رضوان الله عليهم - أشد الناس إنكاراً عليهم، ولهذا لم تشتد البدع وتقوى إلا بعد انقضاء عصرهم، ولما ظهرت بعض بوادر البدع فى عصرهم أنكروها وتبرؤوا منها ومن أهلها، فعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال لمن أخبره عن مقالة القدرية: إذا لقيت هؤلاء، فأخبرهم أن ابن عمر منهم برىء، وهم منه

---

(1) شرح النووى على صحيح مسلم (137/3).
(2) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (348/1).
(3) الانتصار للصحب والآل، ص 356، نقلاً عن تاريخ الطبرى (3 / 225).

براء ثلاث مرات[1].

ويقول البغوى ناقلاً إجماع الصحابة وسائر السلف على معاداة أهل البدع:

وقد مضي الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدع ومهاجرتهم [2]، وهذه المواقف العظيمة للصحابة من أهل الردة وأهل البدع، من أكبر الشواهد الظاهرة على صدق تدينهم، وقوة إيمانهم وحسن بلائهم في الدين، وجهادهم أعداءه بعد موت رسول الله ﷺ حتى أقام الله بهم السنة وقمع البدع، الأمر الذي يظهر به كذب الرافضة في رميهم لهم بالردة والإحداث في الدين، والذود عن حوض النبي ﷺ، بل هم أولي الناس بحوض نبيهم لحسن صحبتهم له في حياته وقيامهم بأمر الدين بعد وفاته، ولا يشكل على هذا قول النبي ﷺ: **«ليردن على ناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني»** [3]، فهؤلاء هم من مات النبي ﷺ وهم على دينه، ثم ارتدوا بعد ذلك، كما ارتدت كثير من قبائل العرب بعد موت النبي ﷺ، فهؤلاء في علم النبي ﷺ أصحابه، لأنه مات وهم على دينه، ثم ارتدوا بعد وفاته ولذا يقول له: **«إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»**، وفي بعض الروايات: **«إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري»** [4].

فظاهر أن هذا في حق المرتدين بعد موت النبي ﷺ، وأين أصحاب النبي ﷺ الذين قاموا بأمر الدين بعد نبيهم خير قيام، فقاتلوا المرتدين وجاهدوا الكفار والمنافقين، وفتحوا بذلك الأمصار، حتى عم دين الله كثيراً من الأمصار، من أولئك المنقلبين على أدبارهم، وهؤلاء المرتدون لا يدخلون عند أهل السنة في الصحابة، ولا يشملهم مصطلح الصحبة إذا ما أطلق، فالصحابي كما عرفه العلماء المحققون: من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام [5].

وأما قول النبي ﷺ: **«فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم»** [6]، واحتجاج الشيعة الرافضة به على تكفير الصحابة إلا القليل منهم فالحجة عليهم فيه، لأن الضمير في

---

(1) السنة لعبد الله بن أحمد (2 / 420).
(2) شرح السنة للبغوى (194/1).
(3) البخاري رقم (6582)
(4) مسلم، الفضائل، (1796/4).
(5) الإصابة في تمييز الصحابة (7/1).
(6) البخاري، رقم 6584، 6587.

قولـه: "منهم" إنما يرجع على أولئك القوم الذين يدنون من الحوض ثم يذادون عنه، فلا يخلص منهم إلا القليل، وهذا ظاهر من سياق الحديث فإن نصه: **«بينما أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، فقلت: أين؟ قال: إلى النـــار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقـــرى، ثم إذا زمـــرة حـــتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، قلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: مـــا شأنهم؟ قالوا: إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هَمل النعم»** (1)، فليس في الحديث للصحابة ذكر وإنما ذكر زمراً من الرجال يذادون من دون الحوض، ثم لا يصل إليه منهم إلا القليل (2).

قال ابن حجر في شرح الحديث عند قولـه: **«فلا أراه يخلص منـــهم إلا مثـــل هَمـــل النعم»**، يعنى من هؤلاء الذين دنوا من الحوض وكادوا يردونه فصدوا عنه، والمعنى لا يرده منهم إلا القليل لأن الهمل في الإبل قليل بالنسبة لغيره (3)، ولهذا يظهر بطلان احتجاج الشيعة الرافضة وتلبيسهم وبراءة الصحابة من طعنهم وتجريحهم (4).

1 - عدالة الصحابة رضي الله عنهم:

إن تعريفات أهل العلم للعدالة في الاصطلاح ترجع إلى معنى واحد وهو أن العدالة ملكة في النفس تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة ولا تتحقق للإنسان إلا بفعل المأمور وترك المنهي وأن يبعد عما يخل بالمروءة، ولا تتحقق إلا بالإسلام والبلاغ، والعقل، والسلامة من الفسق، لم تتحقق العدالة في أحد تحققها في أصحاب رسول الله ﷺ، فجميعهم رضي الله عنهم عدول تحققت فيهم صفة العدالة (5)، والمراد بها رواياتهم للحديث عن رسول الله، وحقيقتها التجنب عن تعمد الكذب في الرواية والانحراف فيها، قال العلامة الدهلوى: ولقد تتبعنا سيرة الصحابة كلهم، فوجدناهم يعتقدون الكذب على النبي ﷺ أشد الذنوب، ويحترزون عنه غاية الاحتراز كما لا يخفي على أهل السير (6).

---

(1) البخاري رقم (6584).
(2) الانتصار للصحب والآل، ص359.
(3) فتح الباري (474/11، 475).
(4) الانتصار للصحب والآل، ص360.
(5) عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (799/2).
(6) ظفر الأمانى في مختصر الجرجانى للكنوى، ص506، 507.

ولقد تضافرت الأدلة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على الصحابة الكرام رضي الله عنهم، مما لا يبقي معها شك لمرتاب في تحقق عدالتهم، فكل حديث لـه سند متصل بين من رواه وبين المصطفي ﷺ لم يلزم العمل به إلا بعد أن تثبت عدالة رجاله، ويدب النظر في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه إلى النبي ﷺ لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم بنص القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه [1].

(أ) قولـه تعالى:{وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا} [البقرة: 143] ووجه الاستدلال بهذه الآية على عدالة الصحابة رضي الله عنهم أن وسطاً تعنى: عدولاً خياراً ولأنهم المخاطبون بهذه الآية مباشرة [2].

(ب) قولـه تعالى:{كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ} [آل عمران: 110].

ووجه دلالة هذه الآية على عدالة الصحابة رضي الله عنهم: أنها أثبتت الخيرية المطلقة لهذه الأمة على سائر الأمم قبلها، وأول من يدخل في هذه الخيرية المخاطبون بهذه الآية مباشرة عند النزول وهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وذلك يقتضي استقامتهم في كل حال، وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة، ومن البعيد أن يصفهم الله عز وجل بأنهم خير أمة ولا يكونون أهل عدل واستقامة، وهل الخيرية إلا ذلك؟ [3].

(جـ) قولـه تعالى:{وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠} [التوبة: 100].

ووجه دلالة هذه الآية على عدالتهم رضى الله عنهم: أن الله تعالى أخبر فيها برضاه عنهم، ولا يثبت الله رضاه إلا لمن كان أهلاً للرضا، ولا توجد الأهلية لذلك إلا لمن كان من أهل الاستقامة فى أموره كلها عدلاً فى دينه، ومن أثنى الله تعالى عليه هذا الثناء كيف لا يكون عدلاً؟ وإذا كان التعديل يثبت بقول اثنين من الناس فكيف لا تثبت عدالة

(1) عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (800/2).
(2) الكفاية، للخطيب البغدادى، ص64.
(3) عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (802/2).

صفوة الخلق وخيارهم بهذا الثناء، الصادر من رب العالمين [1].

(د) قوله تعالى:{مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾} [الفتح: 29]، فهذا الوصف الذى وصفهم الله به فى كتبه، وهذا الثناء الذى أثنى به عليهم لا يتطرق إلى النفس معه الشك فى عدالتهم؟.

قال القرطبى رحمه الله عند تفسير هذه الآية: فالصحابة كلهم عدول - أولياء الله تعالى و أصفياؤه، وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله - هذه الأمة، وقد ذهبت شرذمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم، فيلزم البحث عن عدالتهم، ومنهم من فرق بين حالهم فى بداءة الأمر، فقال: إنهم كانوا على العدالة إذ ذاك، ثم تغيرت بهم الأحوال، فظهرت فيهم الحروب وسفك الدماء، فلابد من البحث وهذا مردود، فإن خيار الصحابة وفضلاءهم كعلى وطلحة والزبير وغيرهم رضى الله عنهم ممن أثنى الله عليهم وزكاهم ورضى عنهم وأرضاهم، ووعدهم الجنة بقوله تعالى:{وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا}[الفتح: 9]، وخاصة العشرة المقطوع لهم بالجنة بإخبار الرسول هم القدوة مع علمهم بكثير من الفتن والأمور الجارية عليهم بعد نبيهم بإخباره لهم بذلك، وذلك غير مسقط من مرتبتهم وفضلهم إذا كانت تلك الأمور مبنية على الاجتهاد[2].

(هـ) قوله تعالى:{لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾} [الحشر: 8، 9].

فالصادقون هم المهاجرون، والمفلحون هم الأنصار، بهذا فسر أبو بكر الصديق رضى الله عنه هاتين الكلمتين من الآيتين حيث قال فى خطبته يوم السقيفة مخاطباً

---

(1) عقيدة أهل السنة فى الصحابة (2 / 804).
(2) تفسير القرطبى (16 / 299).

الأنصار: إن الله سمانا (الصادقين) وسماكم (المفلحين)، وقد أمركم أن تكونوا حيثما كنا، فقال:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾} [التوبة: 119].

فهذه الصفات الحميدة فى هاتين الآيتين كلها حققها المهاجرون والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ، واتصفوا بها، ولذلك ختم صفات المهاجرين بالحكم بأنهم صادقون، وختم صفات الذين آزروهم ونصروهم وآثروهم على أنفسهم بالحكم لهم بأنهم مفلحون، وهذه الصفات العالية لا يمكن أن يحققها قوم ليسوا بعدول، فهذه الآيات التى أسلفناها من الآيات البينة الدالة على عدالة الصحابة رضى الله عنهم، فعدالتهم ثابتة بنص القرآن الكريم [1].

وأما دلالة السنة على تعديلهم رضى الله عنهم:

فقد وصفهم النبى ﷺ فى أحاديث يطول تعدادها وأحسن الثناء عليهم بتعديلهم، ومن تلك الأحاديث:

(أ) ما رواه الشيخان فى صحيحيهما من حديث أبى بكر أن النبى ﷺ قال: «.... **ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب**» [2].

وجه دلالة الحديث على عدالتهم رضى الله عنهم: أن هذا القول صدر من النبى ﷺ فى أعظم جمع من الصحابة فى حجة الوداع، وهذا من أعظم الأدلة على ثبوت عدالتهم حيث طلب منهم أن يبلغوا ما سمعوه منه من لم يحضر ذلك الجمع دون أن يستثنى منهم أحداً [3].

قال ابن حبان رحمه الله:

وفى قوله ﷺ: «**ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب**»، أعظم دليل على أن الصحابة كلهم عدول ليس فيهم مجروح ولا ضعيف، إذ لو كان فيهم أحد غير عدل لاستثنى فى قوله ﷺ وقال: ألا ليبلغ فلان منكم الغائب، فلما أجملهم فى الذكر بالأمر بالتبليغ من بعدهم دل ذلك على أنهم كلهم عدول، وكفى بمن عدله رسول الله ﷺ شرفاً [4].

(ب) روى البخارى بإسناده إلى أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال النبى ﷺ :

---

(1) عقيدة أهل السنة فى الصحابة الكرام (2 / 807).
(2) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (1 / 91).
(3) عقيدة أهل السنة فى الصحابة الكرام (2 / 807).
(4) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (91/1).

«لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» [1]، وجه الاستدلال بهذا الحديث على عدالة الصحابة رضي الله عنهم: أن الوصف لهم بغير العدالة سب، لا سيما وقد نهى ﷺ بعض من أدركه وصحبه عن التعرض لمن تقدمه لشهود المواقف الفاضلة، فيكون من بعدهم بالنسبة لجميعهم من باب أولى [2]، فالصحابة كلهم عدول بتعديل الله لهم وثنائه عليهم، وثناء رسول الله ﷺ عليهم، فليسوا بحاجة إلى تعديل أحد من الخلق [3].

ولو لم تكن عدالتهم منصوصاً عليها في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لجزم أهل العقول الصحيحة والقلوب السليمة بعدالتهم، استناداً إلى ما تواترت به الأخبار عنهم من الأعمال الجليلة والخيرات الوفيرة التى قدموها لنصرة دين الله الحنيف، فقد بذلوا ما أمكنهم بذله في سبيل نصرة الحق ورفع رايته وإرساء قواعده ونشر أحكامه في جميع الأقطار رضي الله عنهم أجمعين.

والعدالة المرادة هنا ليس المقصود بها عدم الوقوع في الذنوب والخطايا فإن هذا لا يكون إلا لمعصوم [4]، قال ابن الأنباري: وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم واستحالة المعصية منهم، وإنما المراد قبول رواياتهم من غير تكلف البحث عن أسباب العدالة، وطلب التزكية إلى أن يثبت ارتكاب قادح ولم يثبت ذلك ولله الحمد والمنة، فنحن على استصحاب ما كانوا عليه في زمن رسول الله ﷺ حتى يثبت خلافه، ولا التفات إلى ما يذكره أهل السير، فإنه لا يصح وما صح فله تأويل صحيح [5].

الإجماع على عدالتهم:

أجمع أهل السنة والجماعة على أن الصحابة جميعهم عدول بلا استثناء من لابس الفتن وغيرها ولا يفرقون بينهم، الكل عدول إحساناً للظن بهم ونظراً لما أكرمهم الله به من شرف الصحبة لنبيه عليه الصلاة والسلام، ولما لهم من المآثر الجليلة من مناصرتهم للرسول ﷺ والهجرة إليه والجهاد بين يديه والمحافظة على أمور الدين والقيام بحدوده،

---

(1) البخاري (292/2).
(2) فتح المغيث شرح ألفية الحديث (110/3، 111).
(3) عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (809/2).
(4) المصدر نفسه (809/2).
(5) فتح المغيث (115/3).

فشهاداتهم ورواياتهم مقبولة دون تكلف بحث عن أسباب عدالتهم بإجماع من يعتد بقوله، وقد نقل الإجماع على عدالتهم جمع غفير من أهل العلم، ومن تلك النقول:

(أ) **قال الخطيب البغدادى – رحمه الله:** بعد أن ذكر الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ التى دلت على عدالة الصحابة رضي الله عنهم وأنهم كلهم عدول، قال: هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء [1].

(ب) **وقال أبو عمر بن عبد البر – رحمه الله:** ونحن وإن كان الصحابة رضي الله عنهم قد كفينا البحث عن أحوالهم لإجماع أهل الحق من المسلمين، وهم أهل السنة والجماعة، على أنهم عدول، فواجب الوقوف على أسمائهم [2].

(جـ) **وحكى الإجماع على عدالتهم إمام الحرمين الجوينى – رحمه الله:** وعلل حصول الإجماع على عدالتهم بقوله: ولعل السبب فيه أنهم نقلة الشريعة، فلو ثبت توقف في رواياتهم لانحصرت الشريعة على عصر الرسول ﷺ ولما استرسلت على سائر الأعصار [3].

(د) **ذكر ابن الصلاح:** أن الإجماع على عدالة الصحابة خصيصة فريدة تميزوا بها عن غيرهم، فقد قال: للصحابة بأسرهم خصيصة وهى أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم، بل ذلك أمر مفروغ منه لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به في الإجماع من الأمة، وقال أيضاً: إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة، ومن لابس الفتن منهم، فكذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع إحساناً للظن بهم ونظراً إلى ما تمهد لهم من المآثر، وكأن الله - سبحانه وتعالى - أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة [4]، والله أعلم.

(هـ) **قال الإمام النووى – رحمه الله:** بعد أن ذكر أن الحروب التى وقعت بينهم كانت عن اجتهاد وأن جميعهم معذورون رضي الله عنهم فيما حصل بينهم، قال: ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهادتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم

---

(1) الكفاية، ص67.
(2) الاستيعاب علي حاشية الإصابة (8/1).
(3) فتح المغيث شرح ألفية الحديث (112/3) وذكره السيوطى في تدريب الراوى (214/2).
(4) مقدمة ابن الصلاح، ص146، 147.

رضي الله عنهم [1]، وقال في التقريب: الصحابة كلهم عدول من لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به [2].

(و) **وقال الحافظ ابن كثير – رحمه الله:** والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة لما أثنى الله عليهم في كتابه العزيز، وبما نطقت به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم، وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله ﷺ ورغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل والجزاء الجميل [3].

(ز) **وقال العراقي في شرح ألفيته:** بعد ذكره لبعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على عدالة الصحابة: إن جميع الأمة مجمعة على تعديل من لم يلابس الفتن منهم، وأما من لابس الفتن منهم وذلك من حين مقتل عثمان، فأجمع من يعتد به أيضاً: في الإجماع على تعديلهم إحساناً للظن بهم وحملاً لهم في ذلك على الاجتهاد [4].

(ح) **وقال الحافظ ابن حجر – رحمه الله تعالى:** مبيناً أن أهل السنة مجمعون على عدالة الصحابة فقال: اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة [5]. فهذه النقول المباركة للإجماع من هؤلاء الأئمة كلها فيها بيان واضح ودليل قاطع على أن ثبوت عدالة الصحابة عموماً أمر مفروغ منه ومسلم فلا يبقي لأحد شك ولا ارتياب بعد تعديل الله ورسوله وإجماع الأمة على ذلك [6].

(2) وجوب محبتهم والدعاء والاستغفار لهم:

من عقائد أهل السنة والجماعة وجوب محبة أصحاب رسول الله ﷺ وتعظيمهم وتوقيرهم وتكريمهم والاحتجاج بإجماعهم والاقتداء بهم، وحرمة بغض أحد منهم لما شرفهم الله به من صحبة رسوله ﷺ والجهاد معه لنصرة دين الإسلام، وصبرهم على أذي المشركين والمنافقين، والهجرة عن أوطانهم وأموالهم وتقديم حب الله ورسوله ﷺ على ذلك كله، قال تعالى:{وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا

(1) شرح النووى علي صحيح مسلم (149/15).
(2) تقريب النواوى مع شرح تقريب الراوى (214/2).
(3) الباعث الحثيث ص181، 182.
(4) شرح ألفية العراقي المسماة بالتبصرة والتذكرة (13/3، 14).
(5) الإصابة (17/1).
(6) عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (813/2).

ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠} [الحشر: 10]، هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة، لأنه جعل لمن بعدهم حظا في الفيء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم، وأن من سبهم أو أحداً منهم أو اعتقد فيه شراً أنه لا حق لـه في الفيء، روى ذلك عن الإمام مالك وغيره، قال مالك: من كان يبغض أحداً من أصحاب محمد ﷺ أو كان في قلبه عليهم غل، فليس لـه حق في فيء المسلمين، ثم قرأ:{وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ} [1].

وقد فهم متقدمو أهل السنة والجماعة ومتأخروهم أن المراد من الآية السابقة الأمر بالدعاء والاستغفار لهم من اللاحق للسابق، ومن الخلف للسلف، الذين هم أصحاب رسول الله ﷺ، روى مسلم بإسناده إلى هشام بن عروة عن أبيه قال: قالت لي عائشة: يا ابن أختي أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم [2].

وروى ابن بطة وغيره من حديث أبي بدر قال: حدثنا عبد الله بن زيد عن طلحة ابن مطرف عن مصعب بن سعد عن سعد بن أبي وقاص قال: الناس على ثلاث منازل، فمضت منزلتان، وبقيت واحدة، فأحسن ما أنتم عليه كائنون أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت ثم قرأ:{لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا} [الحشر: 8] هؤلاء المهاجرون وهذه منزلة قد مضت، ثم قرأ:{وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ} [الحشر: 9] ثم قال: هؤلاء الأنصار وهذه المنزلة قد مضت ثم قرأ:{وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠}[الحشر: 10]، قد مضت هاتان وبقيت هذه المنزلة التي بقيت أن تستغفروا لهم [3].

ولا يتردد من لـه أدنى علم في أن الشيعة الرافضة خارجون من هذه المنزلة لأنهم لم يترحموا على الصحابة ولم يستغفروا لهم، بل سبوهم وحملوا لهم الغل في قلوبهم،

---

(1) تفسير القرطبي (32/18).
(2) مسلم (2317/4).
(3) منهاج السنة (153/1)، المستدرك (484/2)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

فحرموا من تلك المنزلة، التى يجب على المسلم أن يكون فيها ولا يحيد عنها بحال حتى يلقي ربه [1].

وقد قال ابن تيمية – رحمه الله: وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار، وعلى الذين جاؤوا من بعدهم، يستغفرون لهم، ويسألون الله ألا يجعل في قلوبهم غلاً لهم وتتضمن أن هؤلاء الأصناف هم المستحقون للفيء، ولا ريب أن هؤلاء الرافضة خارجون من الأصناف الثلاثة، فإنهم لم يستغفروا للسابقين، وفي قلوبهم غل عليهم، ففي الآيات الثناء على الصحابة وعلى أهل السنة الذين يتولونهم وإخراج الرافضة من ذلك وهذا ينقض مذهب الرافضة [2].

(3) تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم في الكتاب والسنة:

(أ) قال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾} [الأحزاب: 57]، هذه الآية تضمنت التهديد والوعيد بالطرد والإبعاد من رحمة الله والعذاب المهين لمن آذاه - جل وعلا - بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره وإصراره على ذلك، وإيذاء رسوله [3]، شمل كل أذية قولية أو فعلية من سب وشتم أو تنقص له أو لدينه، أو ما يعود إليه بالأذى [4]، ومما يؤذيه ﷺ سب أصحابه وقد أخبر ﷺ أن إيذاءهم إيذاء له، ومن آذاه فقد آذى الله [5]، وأي أذية للصحابة أبلغ من سبهم؟! والآية فيها إشارة قوية ظاهرة إلى أنه يحرم سبهم رضي الله عنهم.

(ب) قوله تعالى:{وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾} [الأحزاب: 58]، وهذه الآية فيها التحذير من إيذاء المؤمنين والمؤمنات بما ينسب إليهم مما هم منه براء لم يعملوه، ولم يفعلوه، والبهت الكبير أن يحكى أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات، ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتنقص لهم [6].

---

(1) عقيدة أهل السنة (770/2).
(2) منهاج السنة (153/1)، عقيدة أهل السنة (772/2).
(3) عقيدة أهل السنة في الصحابة (832/2).
(4) تفسير السعدى (121/6).
(5) مسند أحمد (87/4).
(6) تفسير ابن كثير (535/3).

ووجه دلالة الآية على تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم: أنهم في صدارة المؤمنين فإنهم المواجهون بالخطاب في كل آيه مفتتحة بقوله:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ} [البقرة: 104]، ومثل قوله:{إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ} [الكهف: 107] في جميع القرآن فالآية دلت على تحريم سب الصحابة لأن لفظ المؤمنين أول ما ينطبق عليهم؛ لأن الصدارة في المؤمنين لهم رضي الله عنهم، وسبهم والنيل منهم من أعظم الأذى، وأن من نال منهم بذلك فقد آذي خيار المؤمنين بما لم يكتسبوا، وأن من اتخذ شتمهم والنيل منهم ديناً له، فإن الوعيد المذكور في الآية يصيبه [1].

قال ابن كثير – رحمه الله – عند هذه الآية: ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد الكفرة بالله وبرسوله، ثم الرافضة الذين ينتقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد برأهم الله منه، ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم، فإن الله - عز وجل - قد أخبر أنه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم، وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم وينتقصونهم ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبداً، فهم في الحقيقة منكسو القلوب يذمون الممدوحين ويمدحون المذمومين [2].

(جـ) قوله تعالى:{مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾} [الفتح: 29].

ووجه دلالة الآية على تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم: أنه لا يسبهم شخص إلا لما وجد في قلبه من الغيظ عليهم، وقد بين تعالى في هذه الآية إنما يغاظ بهم الكفار، فدلت على تحريم سبهم، والتعرض لهم بما وقع بينهم على وجه العيب.

(د) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»** [3]، فهذا الحديث اشتمل على النهى والتحذير من سب الصحابة رضي الله

(1) عقيدة أهل السنة في الصحابة (823/2).
(2) عقيدة أهل السنة، نقلاً عن تفسير ابن كثير.
(3) مسلم (1697/4 - 1698).

عنهم، وفيه التصريح بتحريم سبهم [1]، والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

نهى السلف عن سب الصحابة رضي الله عنهم:

إن النصوص الواردة عن سلف الأمة وأئمتها من الصحابة، ومن جاء بعدهم من التابعين لهم بإحسان، والتى تقضى بتحريم سب الصحابة والدفاع عنهم، كثيرة جداً منها:

(أ) **قال أحمد بن حنبل – رحمه الله** : إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ بسوء، فاتهمه على الإسلام [2].

(ب) **قال أبو زرعة الرازى – رحمة الله** : إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة [3].

(جـ) **وقد ذكر الإمام الشوكانى – رحمه الله** : إجماع أهل البيت رضى الله عنهم، على تحريم سب الصحابة رضوان الله عليهم، من اثنى عشر طريقاً [4].

وقد روى أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسى بإسناده إلى محمد بن على بن الحسين بن على أنه قال لجابر الجعفى: يا جابر بلغنى أن قوماً بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا ويتناولون أبا بكر وعمر، ويزعمون أنى آمرهم بذلك فأبلغهم عنى أنى إلى الله منهم برىء، والذى نفس محمد بيده لو وليت لتقربت إلى الله بدمائهم، لا نالتنى شفاعة محمد ﷺ إن لم أكن أستغفر لهما وأترحم عليهما، إن أعداء الله لغافلون عن فضلهما، فأبلغهم أنى برىء منهم وممن تبرأ من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما [5]. روى أيضاً بسنده إلى عبد الله بن الحسن بن على أنه قال: ما أرى رجلاً يسب أبا بكر وعمر تيسر له توبة أبداً [6].

(4) حب أمير المؤمنين على وأبنائه للصحابة رضى الله عنه :

---

(1) عقيدة أهل السنة في الصحابة (838/2).
(2) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى، ص 160.
(3) الكفاية فى علم الرواية ص 67.
(4) إرشاد الغبى إلى مذهب أهل البيت فى صحب النبى، ص 50 - 64.
(5) البداية والنهاية (9 / 349).
(6) عقيدة أهل السنة فى الصحابة (2 / 851).

الصورة الحقيقية الناصعة البياض تبقى وما سواها يزول. إنها تتجلى فى أهم كتاب عند الشيعة الاثنى عشرية نهج البلاغة، تلك النصوص كفيلة بهدم الأطروحة القائمة على لعن وسب صحابة رسول الله ﷺ، والقول بردتهم وانقلابهم على أعقابهم من بعده، فهذا أمير المؤمنين علىّ يصور لنا بنفسه صحابة رسول الله ﷺ كما رآهم وعاينهم، إذ يقول: لقد رأيت أصحاب محمد فما أرى أحداً يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثا غبراً، وقد باتوا سجداً وقياماً يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب ورجاء الثواب [1].

وهو يتحسر على فراقهم ويرثيهم بعد موتهم كحال أى محب فارق من يحبه فيقول: أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرأوا القرآن فأحكموه، وسلبوا السيوف أغمادها، وأخذوا بأطراف الأرض أطرافها زحفاً زحفاً وصفاً وصفاً، مُره العيون من البكاء، خمص البطون من الصيام، ذبل الشفاه من الدعاء، صفر الألوان من السهر، على وجوههم غبرة الخاشعين، أولئك إخوانى الذاهبون، فحق لنا أن نظمأ إليهم، ونعض الأيدى على فراقهم[2].

فيا أحباب أمير المؤمنين على رضى الله عنه، تأملوا فى نظرته إلى أصحاب رسول الله ﷺ.

وأما الإمام على بن الحسين زين العابدين - رحمه الله - فكان يذكر أصحاب رسول الله ويدعو لهم فى صلاته بالرحمة والمغفرة لنصرتهم سيد الخلق فى نشر دعوة التوحيد، وتبليغ رسالة الله إلى خلقه، فيقول: فاذكرهم منك بمغفرة ورضوان، اللهم وأصحاب محمد خاصة، الذين أحسنوا الصحبة، والذين أبلوا البلاء الحسن فى نصره، وكانفوه وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالته، وفارقوا الأزواج والأولاد فى إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء فى تثبيت نبوته، والذين هجرتهم العشائر إذ علقوا بعروته، وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا فى قرابته، اللهم ما تركوا لك وفيك وارضهم من رضوانك وبما حاشوا الحق عليك، وكانوا من ذلك لك وإليك، واشكرهم على هجرتهم فيك ديارهم، وخروجهم من سعة العيش إلى ضيقه،

(1) نهج البلاغة، ص 182 - 189، ثم أبصرت الحقيقة، ص 324.
(2) نهج البلاغة، ص 235، ثم أبصرت الحقيقة، ص 325.

ومن أكثره فى اعتزاز دينك إلى أقله، اللهم وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين يقولون: ربنا اغفر لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان خير جزائك، والذين قصدوا سمتهم، وتحروا جهتهم، ولو مضوا إلى شاكلتهم لم يثنهم ريب فى بصيرتهم، ولم يختلجهم شك فى قفو آثارهم والائتمام بهداية منارهم، مكانفين وموازرين لهم، يدينون بدينهم، ويهتدون بهديهم، يتفقون عليهم ولا يتهمونهم فيما أدوا إليهم [1].

فهذا موقف أئمة أهل البيت رضوان الله عليهم من الصحابة، لا ما يدعيه المندسون من الرافضة، والمتسترون بستار التشيع، أعداء القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة وأئمة أهل البيت الأطهار.

* * *

(1) صحيفة كاملة لزين العابدين، ص 13، نقلاً عن: ثم أبصرت الحقيقة ص 329.